

المثلث الاموي

الاخطل - الفرزدق - جرير

محاولة مختصرة في الموازنة بينهم

بقلم فؤاد افرايم البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

يُتَّهم الاخطل والفرزدق وجرير اشهر شعراء العصر الاموي ، بل افضل ممثلي
الادب في ذلك العصر . مريو الاصل ، يثون بالصلة المتينة الى قبائل لها
تأثيرها وخطرها في المجتمع اذ ذاك . بدويو النشأة ، عرفوا الحضارة الجديدة
واتصلوا بها ، ولكن على تفاوت . فكان الاخطل اقربهم الى الاخذ بمرآتها ،
ثم الفرزدق ، وأخيراً جرير الذي ظلّ على اتصال متتابع بالبدواة . نرى اثر هذا
في خلوص عاطفته ، وصدق إيمانه ، وصحة تقواه ، وهو يجاهر باسلامه ، ويدافع
عنه ، ويحييه في شعره . حتى يقيم من العاطفة السدينية مادةً للأنخر ، وعوناً على
الهجاء ، فيهجو الفرزدق بعدم تدينه وفساد عقيدته :

هو الرجس ، يا اهل المدينة ، فاحذروا مداعل رجس بالحيثات عالم
ويهجو الاخطل بنصرانته .

على ان هذه النصرانية لم تكن تسبغ الاخطل من الاضطلاع بلاهي
العصر وبغاسده احياناً . فقد استعمل الطلاق ، واسترسل في الملمات . الا انه
ظلّ مذعناً لتواهي الدين ، خاضعاً لرجالہ ، فام يستهزئ ، ولم يجاهر بالمروق عن
الشرائع لا في شعره ولا في سلوكه ، كما قد نرى في حياة زميله الفرزدق .
فان هذا كان سيّء السلوك ، فاسد العلاقات ، مجاهرًا باستهزائه ، مضطرب
الاخلاق على الغالب ، يكاد لا يخلص لبدأ ، الا في ما يخص امامة العلويين .
فكان ، من حيث السياسة الحزبية ، شديد التعصب لآل البيت حتى
سفرهم يمكن اعتباره « شاعر العلويين » ، كما نعتبر الاخطل « شاعر الامويين » .
وكما ان الفرزدق دافع بكل جرأة عن زين العابدين وآله في وجه هشام بن

عبد الملك ، كان الاخطل لا يتراجع عن الانتصار للامويين حتى في وجه الانتصار .
واذا فكل منها شاعر دين وشاعر سياسة ، على فرق ان الاخطل كان يتكلم
عن حق الامويين بالامامة الدينية ، وهو لا يهتبه . من ذلك الا حكمهم السياسي .
اما جبر فقد مدح الامويين مدحه خلفاء العصر ، وارباب الدولة ، كأنه تجاه
امر واقع ، دون ان يهتم ، اهتمام الاخطل ، بتأييد حقهم او مناقشة اعدائهم .
وقد مدح كذلك ولائهم واسرائهم . فيكون الفن الاول : الذي يمكن ان
نوازن فيه بين هؤلاء الشعراء الثلاثة ، فن المدح .

وموضوع المدح المشترك بينهم واحد ، هو بنو امية . فاذا حددنا موقف
المدح كل منهم من الدولة المالكة نكون قد عملنا نوعاً ما على تحديد اخلاصه
في العاطفة المدحية .

اما الاخطل فهو « شاعر بني امية » بلا خلاف ، على قول الخليفة
عبد الملك . لم يكن يدين بدينهم ، ولكنه جذب الى حزبهم السياسي ، وقد
يكون ذلك رهبة منهم او رغبة في ملهم اول الامر . على ان ما يمكن
تأكيدة هو ان هذا الحزب السياسي الاموي اصبح جزءاً من عقائد الاخطل ،
حتى انه كان يدافع عن الامويين كما يدافع عن قومه انفسهم ، ويهجو اعدائهم
كما يهجو اعداءه الشخصيين . فاذا مدحهم ذكر كرمهم وشجاعتهم وسائر ما
يصل بذلك من اساليب المدح القديمة . ثم خص القسم الكبير من مدحه بالصفات
التي عُرف بها الامويون كالجلل ، وقوة الارادة ، وحسن التدبير ، وضبط
الامور :

شمر الدواة حتى يستاد لهم ، واعظم الناس احلاماً ، اذا قدروا

ولم يُغفل ان يتوسع في حقهم من الخلافة ، ملتجئاً احياناً الى ضعف اعدائهم
وعلم اهليتهم لادارة الملك ، ومصرحاً احياناً اخرى بافضلية امية على كل
من يدعي الامامة ، غير تارك شيئاً من اساليب الفخر بالامويين ، والخط من
منلوئهم بالهجو اللاذع والتهكم الهدام . حتى يظهر من هذه الناحية مناضلاً
سياسياً . ذا اطلاع واسع على طرق المناقشات الحزبية ، فيتبرأ ، عن جدارة
واستحقاق ، المركز الاول بين الشعراء السياسيين .

واما الفرزدق فانا نعلمه اذا حكىنا على مدحه بقصائده في بني امية ، وهو ذو مذهب سياسي غير مذهبه ، يرى الحق بالخلافة للعالمين ، ويرى ذلك عن اخلاص ، وحسن نية ، وصحة مبدأ . وما كنا لنناقشه في اخلاصه ومبداه . ولكن هذا لا يمنعنا ان نتحقق انه كثيراً ما كتم هذا المبدأ ، فدح من كان يعتبرهم خلفاء غير شرعيين . فكان في مدحه للامويين غير مخلص بالطبع ، يتكلف الامر تكلفاً ، فيبدو على شعره مسحة من الاضطراب والتفتيش عن المخارج . انما يجب علينا القول ، انصافاً لاخلاصه ، انه في مدحه هذا لم يتطرق الى هجو اعداء الاربيين ، ولم يبالغ في الاشادة بحق امية الشرعي ، كما فعل الاخطل . بل اكفى غالباً بمدحهم ملوكاً ذوي حسب معروف ، وكرم قياض .

اما اذا دفعناه في طريق مبداه فهناك العاطفة المخلصة تتجلى بالمدح الفخم ، فيتخلص الشاعر من كل تكلف الى مجال الطبيعة الحقة ، واذا امامنا مدح زين العابدين :

بُنْغِي حَيَاءً وَيُغْنِي مِنْ مَهَابَةٍ فَا بُكِّمَ الْاَحْيَانُ يَتَمُ .

يجمع فيه الفرزدق بين الصفات الخارجية والصفات الداخلية ، بين المدايح التقليدية بالكرم والشجاعة ، والمدايح الجديدة بحسن التدبير والتقوى والطهارة . فكانه يقيم من ذلك مشهداً تاماً للمدح يقابل به المشهد التام الذي اقامه الاخطل في مدح بني امية . وهنا نلاحظ اختلافاً في شيء من مواد هذين المدحين المخلصين : من ذلك ان الاخطل ، في اشادته بذكر مناقب الامويين الدينية ، لا يهتم بتقواهم ولا بطهاراتهم ، او لا لانهم لم يكونوا على شيء منهم من ذلك ؟ وثانياً لانه ، وهو الشاعر النصراني ، لم يكن يكثر كثيراً لهذه الصفات في خلفاء الاسلام . ومن ذلك ان الفرزدق ، في تسداده مناقب زين العابدين وآله وذكر حقهم من الخلافة ، لا يذكر حزمهم وحسن تدبيرهم . وشدة ضبطهم للامور ، وهي من الصفات المهمة في الحكم ومن التي افاض فيها الاخطل في ذكر ممدوحيه . ذلك ان العالمين لم يكونوا على شيء يذكر من ذلك . فاكفى الفرزدق باستنتاج هذا الحق من نسب المدوحين واتصاهم بالنبي :

هذا ابن فاطمة ، ان كنت جاهله !

وموقف الفرزدق هذا يبرر اعراض الامويين عنه ، وعندهم الاخل . فلم
يبتّ له اذاً الا ان يتدل البلاط الملكي ، فيكثر الاختلاف الى مدن الحجاز
حيث كانت اكثرية الطويين .

واننا لنتحقق الامر نفسه من اعتزال البلاط والانصراف عن دمشق في
جرير . ولم يكن من نصيب هذا ان يحظى عند الخلفاء ، قبل عمر بن عبدالعزيز ،
اي قبل وفاة الاخل . لا لانه لم مدحهم ، بل لان الاخل كان مستأثراً بهم
دونه ، ولانه لم يناضل عنهم مناضلة الاخل ، بل كان من المهين بالمرة
الزبيرية وبالتالي من المعرضين لخط بني امية . فكان اذا مدحهم ذكر
الشجاعة ، والبطش ، والكرم خاصة ، واعتذر عن بزمته القديمة ، ثم ألح
تليحاً عاماً الى صفاتهم الدينية ، دون ان يبرهن عن حقهم بالخلافة . ولم
يكن من المنتظر ان شاعراً يسلك هذه الطرق المدحية وحدها ، ينافس الاخل
في مركزه . ولهذا نراه ينصرف الى مدح امراء الدولة وولاتها كالحجاج بن
يوسف . وهو في اكثر مدحه لا يتعدى الاوصاف التقليدية . ولا يمكنه في اي
حال ان يساوي الاخل في مدحه الاموي ، او الفرزدق في مدحه العلوي .

ولكنه ان انحط عن زميله في المدح ، فانه كثيراً ما ساواها ، وقليلاً
الرهاء . ما فاقهما في الهجاء .

كان في طبيعته تيمّظ غريب للاطلاع على مساوي الناس ، وانتباه عجيب
لمواطن النقص فيهم ، ومقدرة على بسط هذه التواقص والمغازي ، يدّها عدم
التحرج في اختراع ما لا وجود له منها . ويخدم كل ذلك عاطفة قوية ، ولغة
سهلة ، ونفس سيال ؛ فيؤلف امثال شخصية هجائية عرفها العصر الاموي . زد
على ذلك ما كان يُدكي هذه الشخصية من ظروف العصر ، اديبة كانت ام
سياسة ، واذا انت امام اجلي مظهر للهجو الادبي . وزيد بالهجو « الادبي »
كونه احد الفنون الشعرية ، لا كونه مطابقاً لاصول « الادب » وقواعد الاخلاق .
فان هذا الهجو « الادبي » كثيراً ما كان يخرج الى الباب والشتام ، ولا سيما بين
جرير والفرزدق ، فيؤلف مادة النقائض المهتة . وان من يطالع عليها يرى مثالا لما

بلغ اليه انحطاط الاخلاق في هذين الشاعرين ، فاصبحا يتقاذفان اسفه التعابير واسفل المعاني ، ولا مبرر لذلك الا كونها منظومة شعراً ، وشعراً فنياً بعض الاحيان . حتى لم تبق اهانته لاحقة بالاصل او بالنسب او بامرة الشاعرين من اخوة واخوات وآباء واجداد او بسلوكهم جميعاً ، صحيحة كانت ام مكذوبة ، الا وجدت محلاً في تلك النقائض . فضلاً عن ان هذه الشتائم الكثيرة الالفاظ ، القليلة المعاني ، كانت تتراجع دائماً حتى الاملال ، يزيدنها فخر الشاعر بنفسه وبآبائه وبشعره وبكل ما يتصل به . يستعمل الفرزدق ذلك ، فيرده عليه جرير ، ويبدأ به جرير ، فينقضه الفرزدق . حتى اصبح لنا مشهذان محدّدان ورسهان مقرران يمثل الاول جريراً اشرف الناس والفرزدق اسفلهم ، ويمثل الثاني عكس هذا المشهد بالتمام . الا ان هنالك اختلافاً بالطريقة . فان من يدرس اهاجي الفرزدق يتمثل لديه رجل جبار يحمل الصخرة العظيمة فيهوي بها على رأس خصمه ، حتى اذا خال نفسه قاضياً عليه ، واصبح المطالع منتظراً هرس الحطم ، اذا بهذا يتسلل برفق ولباقة من تحت هذه الصخرة وينظر الى خصمه بمنجفة واستهزاء ، فيتهكم التهكم المر ، ويجول عاطفة الحاضرين من الثقة عليه الى الهز . معه من ذلك الحضم الجبار :

زعم الفرزدق ان سيقتل ربياً . أبشر بطول سلامة ، يا مريع !

فيكون فن جرير بالانتباه ، كما قلنا ، للامور الدقيقة واستغلالها على طريقة لطيفة من الهز . والتهكم . فيرضي الناس ، ويجذبهم اليه ، فيحفظون شعره ويتداولونه ، واذا جميعهم من حزبه .

ثم هو ، في كثير من الاحيان ، ينال بغيته على طريقة غير مباشرة كما في قوله :
لا وضعت على الفرزدق ميسي ، وعلى البيت ، جدعت انتك الاخل .

على انه لم يكن من السهل على جرير ان يجذع انتك الاخل ، وهو القائل عنه : « قد ادركته وله ناب واحد ، ولو كان له ناب آخر لاكلني به » يدل بهذا على ما كان للاخل من ذكر بعيد واسم رفيع وشهرة واسعة في جميع انواع الشعر حتى الهجاء . ولعل من العوامل التي دفعت جريراً الى التحكك بالاخل رغبة الشهرة وطمع التفوق على اكبر شعراء ذاك العصر . الا ان السبب المباشر

كان ان الاخطل حكم على الشاعرين بقول ظننه جرير مجحفاً بجته . فلم يرض بالحكم ، واستغل الامر على طريقته المعروفة من صرف الحادثة الى مجال التهمك والازدراء بالمهجر ، فقال :

يا ذا النباوة ، ان بشراً قد قضى ان لا تجوز حكومة النشوان .

ثم اتصل المهجاء ، بينها ، على اجتهد من ناحية جرير ، وكسل من جهة الاخطل . فكأنه كان يتكلف الرد من نفسه لا مهاجمة خصمه . حتى يمكن القول ان موقفه كان دفاعياً وموقف خصمه هجوماً . يتضح هذا لمن يطالع تقائض جرير والاخطل . ولعل في دين كل من الشاعرين ، ونسبة قبيلته الى الدولة المالكية ، ما كان يولد هذا التباين . فان اسلام جرير كان يفسح له ، في هجاء خصمه النصراني ، مجالاً لا يراه هذا في تلك الدولة الاسلامية . وان مصرية جرير كانت تسهل له ، للنيل من اعراض تطلب بل ربيعة ، اساليب لا تسهل للاخطل في تلك الخلافة القرشية المضرة . وهذا ما انتبه له احد الشيبانيين فقال للاخطل : « ان جريراً يبسط لسانه بما يتقبض عنه لسانك ، ويسب ربيعة سباً لا تقدر على سب مضر بمثله ، والمملك فيهم والبركة قبله . » وهذا ما لاحظته ايضاً عمر بن عبد العزيز فقال : « ان الاخطل ضيق عليه كفره القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله . » بيد ان الاخطل بلغ ، مع ذلك ، من جرير مبلغاً بعيداً . وكان ، على اخذه بالطرق المعروفة من القفر بالنفس وشم الحصى ، يترفع نوعاً عن البذاءات التي كان يصل اليها جرير . الا ان شعر هذا كان اسير بين العرب لما كان يتصف به من تلك النكات الدقيقة ، ولما كان يمدّه فيها من العاطفة ، وهي عنده اوفر منها عند زميله . وهذه العاطفة هي التي جمعت من دثائه فتناً شريعاً حقاً سبها به على رفيقيه المرء ، بلا خلاف . حتى اننا اذا طالعنا اليوم دثائه لامرأته ، على قلة اعتبار النساء في ذلك العصر ، نجد شاعرية فياضة بالعاطفة المخلصة والحس اللطيف والذكريات الفنية مما يكاد يفخر به ارق شعراء العصر : واننا لنهجب بذلك الاخلاص الذي دفعه الى الارتفاع فوق زمانه ، فقال :

لولا المياه لعادني استبار ، وزرت قبرك ، والحبيب يزار !

. ومن الكافى ان يكون جرير قد افكر ، فى ذلك العصر ، بزيارة قبر امرأته ، وعبر عن هذه الفكرة بطريقة مخصصة ساذجة ، للدلالة على وصوله فى الشعر الرثائى الى درجة لم يصل اليها الفرزدق الجاف العاطفة ، ولا الاخطل الذى لم يكن الموت ليوفر له الموضوعات الجديدة بشعره النغم .

وكثيراً ما رغب الفرزدق فى مثل عاطفة جرير ، لا لاجادة فى الرثاء ، الغزل بل للرقّة والتلطّف فى الغزل . وغاية ان يستسيل النساء اللواتى كن يغفون من غزله الصلب وتشابه الضخمة المتراكمة كالصخور فى موضوع يجدر بصاحبه ان يندوب فيه رقة ولطفاً . فضلاً عن ان الفرزدق كان اكثر حاجة الى الرقة من جرير ، لانه كان اوفر تعبيراً واشدّ فقاً ، على قوله ؛ ولما لم يكن يتوصل الى ذلك كان يستعيز بوصف حوادث ومغامرات ترفع عن الاشارة اليها . وقد استغلّ جرير هذه المواقف ، فى هجائه الفرزدق ، فاقام الحجة عليه من شعره حتى نفاه والى المدينة .

اما غزل جرير ، فكان على رقة عاطفته ، اوفر عفة ، واقلّ قذفاً بالمحصات . واما الاخطل فقد استعمل الغزل على طريقة الاقدمين دون ان يتعمّر ، ودون ان يرقّ . وكان كثيراً ما يشمل هذا النوع ، لا عن دافع خاص ، بل اسلوباً ادبياً يوطئ به للمدح .

ولله لم يكن ذا ميل الى هذا النوع من الشعر ، وقد ملكت عليه الحمرة عاطفته فحلت فى حياته محل دوافع الغزل ، فولدت فى شعره بدائع جمة لا يمكن ان نوازن فى موضوعها بينه وبين زميله . ولا يخفى ان الشعر الحمري فن احياء الاخطل ، بعد ان كاد الاسلام يقضي على خمريات الاعشى وعدي ابن زيد : فوصف الحمرة فى كثير من انواعها وصفاتها ، ووصف مغايلها فى نفسه ، وفى غيره من الشاربين . كل ذلك باخلاص وطبيعة ودقة تمهد السيل لوصف ابي نواس . ولو كان الاخطل قد افرد قصائد خاصة لهذا النوع لكان « شاعر الحمرة » قبل ابي نواس . على انه يجب الانسى تأثير البيئة فى ذلك . فبينما نرى الاخطل يكفى بالكرب حتى يسكر ، وقد يشرب مستجلاً ، وقد يشرب واقفاً ، نرى ابا نواس يتسهل فى تسرة مجلس

الحمر بما يتطلبه من ماء ، وازهار وفاكهة وغنا . فلا يصل الى النتيجة نفسها ،
اي السكر ، الا بعد ان يكون قد استوفى ملاهي ومسرات وفرتها بالحضارة
العباسية ولم يكن ليجرؤ عليها شاعر نصراني في بلاط الامويين .
الا ان هذا لم يمنع الاخطل ان يفخر بالشرب ، حتى في المحيط
الفخر الاسلامي ، فيقول :

ولكني ماثرجا شويلا واسجد عند منيلج الصباح .

واذا فقد كانت الحمرة موضوعاً من موضوعات فخره ، كما كانت لعمر بن
كلثوم ، ولعنزة ومن اليها من الجاهليين .

ولقد انتخر الاخطل بغير الحمرة . فتناول موضوعات اشترك فيها وزميليته
من شرف الاصل ، ونبل الحب ، وفضل القبيلة ، وسيادتها القديمة .
وكان يدل احياناً بخدمات قومه في سبيل الامويين . والفخر موضوع واسع كان
يتنافس فيه وجريراً والفرزدق ، فيتنازعون الاسبقية . ومن الصعب ان نشير الى
اولهم في ذلك . وان كان لا بد من ذكر اكثرهم فخراً في الكمية ، ان لم
يكن في الكيفية ، فاننا نميل بالارجح الى الفرزدق .

وهناك موضوع آخر مشترك بين الثلاثة ، وهو الوصف . . . ولكن لم
الوصف ينبغ فيه احد منهم نبوغاً يستحق ذكراً خاصاً ، وان خاض فيه جميعهم
فنجحوا بعض النجاح ، ولا سيما الاخطل . والسبب في ذلك ان فن الوصف لم
يكن على تقدم وازدهار في عصرهم .

قال الاخطل عن الفرزدق :
صبا غنهم ان الفرزدق صخرة عادية طالت ، قابس : لها الاوعال .

قد يكون في هذا البيت تلميح الى جرير ، ورغبة في الخط من شأنه .
على ان ما يهتنا الآن هو رأي الاخطل في الفرزدق . فزى انه لم يهتم في شعر
زميله الا بظهور العظمة والسمو . فهو يؤخذ بما في ذاك الشعر من تماسك الاجزاء ،
وشدة الضبط ، وبروز المتانة ، فيشبهه بالصخرة العادية اي القديسة الثابتة على
كرسي الايام . ونحن اذا تذكرنا ما يروى عن الاخطل من حكم على الفرزدق

وجريرو : « الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر » نرى ان الشاعر الحاكم لم يفسر وجهة نظره . وهو على حق في ذلك . فان كان لقائد الفرزدق ما يضمن لها البقاء ، فهو تلك الجزالة الرائعة التي تأخذ من قلب السامع ، او المطالع ، بجبال خاص يستند الى عناصر الكثرة والقوة وضخامة القصات ، حتى ان الانسان يكاد يذو ، وهو في تلك الحالة من الاعجاب ، دقائق الفن الضرورية ، وشروط التعبير الصحيح ، ولزوم السير على الاسلوب العادي . وكلها قواعد للصناعة لم يكن الفرزدق ليهتم بها دائماً ، لسوء الحظ . وقد انتبه اكثر النحاة لهذا الاحمال فنصروا على الشاعر هفواته العديدة . وكان يسر بعضهم ان الفرزدق ، في اهماله هذا ، يوفر لهم اسباب المشاحنة والتجمل . على ان هذا الاضطراب في التعبير لم يكن عن جهل بالاساليب الصحيحة ، بل عن نفور فطري من طرق التهذيب والتنقيح . واذاً فيكون الفرزدق ، اذا اعتبرنا بحمل شاعريته ، شاعراً عبقرياً لا يخضع الالهامه ، وليس له من الجلد ما يدفعه الى تثقيف هذه العبقرية . فهو ان اتاه الالهام ، نظم القصيدة الطويلة الرائعة بمجملها ، وان لم يلبه شيطانه كان « قلع ضره اهن عليه من نظم البيت الواحد » .

نقول هذا في الشعر الذي كان ينظمه طبعياً ، والذي كان يقرب فيه قوة النفس باخلاص العاطفة ، فتندفع الكلمات اندفاع السيل ، وتراكم التعابير يأخذ منها ما يشاء وما لا يشاء ، كما نجد في قصيدته الميمية في مدح زين العابدين . وكان ، في قوة اندفاعه يستعمل كثيراً من المفردات المهجورة والتعابير القديمة ، وان جافة صعبة ، حتى « سر » به ارباب اللغة فقال يونس : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب » . الا ان هذا الجفاف لم يكن ليخفى عليه ، وكثيراً ما تقي ان يتجنبه وان يكون له رقة جرير ، وكثيراً ما اراد ان ينقش شعره ، وان يأخذ الجميل عن غيره . ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن ثقافة مبررة ولا عن اسلوب مطرد ، فظل شعره متفاوت الايات : منها السخيف ، ومنها الرائع العالي يسير بين الناس سير المثل فيتداولونه تداولهم قطع النقود المصكوكة ، وهو لا يزداد على التداول الا جلاء ، كقوله :

ترى الناس ، ا. سرنا ، يسرون خلقنا ؟ وان نحن اوماننا الى الناس وقفوا .

او قوله :

نرى كلَّ مظلوم البند فراره . ويهرب منا جهده كلَّو ظالم .

او قوله ايضاً :

وكنتُ اذا الجيار صرَّ خذه ، ضربناه حتى نستقيم الاخادع .

ولا حاجة الى تبيان ما في هذا الشعر من القوة والظمنة ، وهو ما لمحه الاخطل خاصة في حكمه . ولم يكن الاخطل ليلسح هذه الصفة خاصة ، لو لم يكن في نفسه ميل الى القوة والمثانة . وهو ما نتحققه في شعره .

فتأ لا جدال فيه ان الجزالة وطول النفس من صفات شعر الاخطل . وان كان هذا الشعر يقلُّ قوة في بعض مفرداته عن شعر الفرزدق ، فانه يفوقه سلامةً وحسن سبك على طول قصائده . لان الامل الذي قصّر بالفرزدق في تنقيح شعره لم يؤثر في الاخطل . بل بالضد ، فسان المورخين يؤكدون ان الاخطل كان يشتغل شعره ، وينقّحه ، ويحسن فيه ، حتى انهم يقولون : « كان اذا اجتمع له تسعون بيتاً اختار منها ثلاثين » . وهو يقول انه اقام في نظم « خفّ القطين » سنة كاملة . ومما يمكن من ذلك فان هذا التنقيح افاد شعر الاخطل دقة تعبير ، وصحة تركيب ، واستمراراً على المثانة في القصيدة كلها مما كانت طويلة . ولهذا اجمع ارباب اللغة واسياد النحو على تقديم الاخطل على زميله . فضلاً عن ان هذا التحسين اللازم وفر للاخطل تلك المطالع الجميلة التي تظهر في شعره اكثر منها في شعر الآخرين . ثم كان له سعة اطلاع على شعر القدماء . ورغبة خاصة في شعر النابغة ، والنابغة من « عبید الشعر » ، فاخذ بهذا الاسلوب ، وسار على خطة سابقة في مدح الملوك ، وفي تنقيح الشعر . وقد جمع الى هذه المقدرة في التعبير قوة في التصوير برّ بها زميله . فترك لنا تلك المسارح الفسيحة تلعب فيها حر الوحش ، وتلك الاستدارات التشبيعية تظهر بها سعة الموصوفات . وهنا ايضاً يجب القول انه مدين بقم من ذلك لاستاذه النابغة .

واذا جاز لنا ان نقايس بين القوى الشعرية التي امتاز بها كل من شعراء المثلث الاموي فاننا نقول ان اضعفها عند الفرزدق والاخطل ، الشعور . اما اقواها عند الاخطل فالمخيلة ، يهيمن عليها العقل . واما الفرزدق فكانت قواه تسير على غير

ضبط . فتارة يسيطر العقل في مدائحهم الاصطناعية ، وطوراً تتقدم المخيلة في وصف مقاماته ، وحيناً يظهر الشعور في قصائده العاطفية ، وهي قليلة جداً .
 اما اقرب الثلاثة الى الشعور فهو جرير . وهبته الطبيعة عاطفة رقيقة ووفرت له من الاحوال ما زادها غمراً ورقة فاستعملها في كل شي . . في الدين : فكان مؤمناً مخلصاً ؛ وفي الحب : فكان زوجاً وفياً ، وكان والدًا باراً ؛ وفي المديح : فكان شاعراً مسلماً ؛ وفي الهجاء : فكان جرّاحاً مؤثماً . وهذا نتيجة ما كان يشعر به من الألم اذ يشتمه الناس — وفي الفقر : فكان متحنناً حتى التهور .

وكأنه سكب من عاطفته شيئاً على مبناه . فكان أسلوبه سهلاً لطيفاً جذاباً يتجنب فيه الالفاظ الثقيلة والتعابير الجافية ، حتى سار شعره بين الناس بسهولة عجيبة . ولا يسير شعر بين الناس ، على الغالب ، الا اذا اتهم عن طريق القلب . ولا يخفى ان الاسلوب صورة العاطفة اذا رقت رقاً ، واذا جفت جفاً . هذا في الشعر الفطري ، اي غير المدحني ، وقد كان جرير في اكثر شعره فطرياً مطبوعاً حتى نسب الى الاخلال بقوله : « وجرير يعرف من بحر » اراد بالبحر تلك سهولة التي اتصف بها الشاعر ، وذلك الفيض الذي كان يمدّه كمن يجر واسع . الا ان هذه السهولة كانت تضعف ، وتضعف الشعر ، كلما طالت القصيدة ، فتسفت الابيات ، ويضطرب التعبير مقترباً من الركاكة . وكان الفرزدق صوّر هذه الميزة في شعر منظره على احسن صورة ، اذ قال : « وتضطرب دلاؤه عند طول النهر » .

وقد كان هذا الامر من الاسباب التي دفعت جريراً الى تقصير قصائده والاكتفاء بالمقاطع القليلة تسير بين العرب بسرعة البرق ، حتى غدا جرير عندهم اشهر الناس في الفقر ، والمديح ، والهجاء ، والنزل . ونحن اذا تدبرنا اسباب هذا التفضيل نراها تعود الى السهولة في الفكرة ، والسهولة في التعبير ، والبساطة في عرض الاقسام . وهي الصفات التي كان يعجب بها البدو ، لانها اوفق لفطرتهم ، واكثر لثقتهم الاعلى . وعليه فيكون جرير شاعر البدو ، والاخل شاعر الحضرة ، والفرزدق ييم ببعريته بين اليتيمتين .